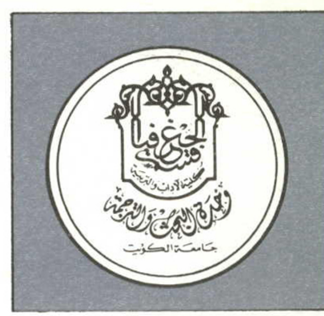




نشرة دورية تعنى بالبحوث الجغرافية
يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية

أثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب

بقلم : ا.د. محمد رشيد الفيل

٩

سبتمبر - أيلول ١٩٧٩
شوال ١٣٩٩





نشرة دورية تعنى بالبحوث الجغرافية
يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية

أثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب

بقلم : ا.د. محمد رشيد الفيل

سبتمبر - أيلول ١٩٧٩
شوال ١٣٩٩

٩

المراسلات

الجمعية الجغرافية الكويتية — ص ب ١٧٠٥١ ـ الخالدية ـ الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر التجارة والرحلة

في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب (١)

بقلم : ا.د. محمد رشيد الفيل

تمثل الملاحظة الشخصية أهم مصدر من مصادر المعرفة الجغرافية الى جانب المصادر الاخرى كالاعتماد على تراث السلف والحساب الرياضي والرصد الفلكي .. الخ وكنتيجة لاتساع الدولة الاسلامية غدت المعطيات الجغرافية لدى العرب أعظم بكثير مما كانت لدى أسلافهم من اليونان والرومان. ولقد امتدت معرفتهم الجغرافية الى جزر اليابان (واق واق) وكوريا (سيلا أوشيلا) شرقا ، ومعظم اسيا بما فيها كنلة انجارا وجزر الهند الشرقية. أما في افريقيا فقد عرفوا جيدا شمال افريقيا حتى خط عرض ١٠ شمالا ، كما تاجروا مع الساحل الشرقي لافريقيا حتى موزمبيق (سفالة) بل وصلوا حتى الناتال جنوبا ، ويعتقد البعض انهم داروا حول رأس الرجاء الصالح منذ القرن العاشر

---

(١) اطلق العرب على الجغرافية الكلمة اليونانية عدة أسماء فسميت بعلم الاطوال والاعراض وعلم تقويم البلدان (وصف البلدان) وأما الجغرافية الوصفية فسميت بعلم المسالك والممالك «أو علم البرود» وفي بعض الاحيان سميت «علم عجائب الدنيا» كما في عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني .

الميلادي (٢) ٠ ولقد أرفق الاميرال البرتغالي الفونسو البوكيرك في تقرير له لملك البرتغال عام ١٥١٢ خارطة بحرية كبيرة لملاح من جاوه موضحا عليها رأس الرجاء الصالح والبرتغال والبحر الاحمر والخليج العربي وجزائر الملوك ومسالك ملاحية الى الصين وجزر فورموزا (٣) ٠ كما عرفوا جزر كناري (الخالدات والسعادات) وفي أوروبا عرفوا جنوب أوروبا ووسطها كما عرفوا بريطانيا وايرلنده والدول الاسكندنافية ومعظم روسيا ٠ ويعتقد البعض أنهم عرفوا أمريكا قبل كريستوف كولمبوس بخمسة قرون على الاقل (٤) ٠

---

(٢) وردت اشارة عند المسعودي تفيد أنه رأى مراكب من النوع الذي يمخر عباب المحيط الهندي في البحر المتوسط ٠ هذه الاشارة يمكن الافادة منها على ان هذه البواخر دارت حول رأس الرجاء الصالح وسارت مع الساحل الغربي لافريقيا حتى مضيق جبل طارق ثم دخلت الى البحر المتوسط ٠٠

(٣) عبد العليم ، الدكتور أنور ٠ ابن ماجد الملاح ٠ ص ٣٣ ٠

(٤) أشار المرحوم عباس محمود العقاد « ان العرب سبقوا سائر الامم الى معرفة تيار الخليج الدافىء وخواصه وحركته من المكسيك الى ايرلندة ٠ فكانوا يركبونه من موطن الى موطن بحيث كانوا يدهشون سكان جزر المانش (أي جزر القصدير) وأهالي جزر ايرلندة ، فكانوا اذا ظعنوا الى أنحاء المكسيك مكث بعضهم وعاد القليلون منهم الى بلادهم ٠ ونعرف أنهم كانوا يقيمون في الديار التي عرفت بعد ذلك بالمكسيك من أسماء الحيوانات التي سموها بها وهي أسام تعرف بها الى اليوم لكن لا يفقه أهلها معانيها ولا علماء الغرب الذين اتخذوها ٠٠ (أثر العرب في الحضارة الاوروبية) ص ٥٤ ٠٠

وفي مقال للدكتور شاكر مصطفى أشار الى أن العرب هم المكتشفون الحقيقيون للقارة الامريكية صاحب النظرية الاستاذ Jeffreys أستاذ الانثربولوجيا الاجتماعية في جامعة Witwaters rand في ترانسفال ، وهو يرى بأن هذا الكشف قد تم حوالي سنة ألف للميلاد أو بعد ذلك بقليل اي قبل كولمبوس بخمسة قرون ويورد الدكتور شاكر الادلة التالية :

١ ـ وجود جماجم ترتبط بالمجموعة الحامية في بعض كهوف جزر بهاما وتعود

وهنالك عوامل كثيرة ساعدت على ظهور وتقـــدم الادب الجغرافي عند العرب وهي :

١ ـ اتساع أراضي الخلافة الاسلامية فقد امتدت الفتوحات الاسلامية من حدود الصين الغربية شرقا حتى المحيط الاطلســي غربا وجميع جزر البحر المتوسط واسبانيا .. الخ .

٢ ـ الدين الاسلامي (الحج) .

الى أكثر من ١٠ قرون ..

ب ـ وجود البطاطا في جزر البحر الكاريبي حين وصول كولمبوس وهي زراعة أفريقيـــة الاصـــل ..

جـ ـ وجود زراعة الذرة واليوكا فيأفريقيا قبل مولد كولمبوس بكثير وهمــا زراعتان أمريكيتان معروفتان . وأن القلقشندي الذي كتب صبح الاعشى قبل قرن من كولمبوس يذكر عن أهل بلاد تكرور قوله « وعندهم الذرة وهي اكثر حبوبهم .. » .

د ـ لقد أثبت كتاب عصر الاكتشافات أمثال (ارفنج) و (بدرومارتير) وجودقبائل من المغاربة السمر في بعض البقاع المكتشفة (مثل منطقة كاراكاس) وقد وصفوهم بأنهم متكبـــرون قســـاة ..

هـ ـ ما ذكره فاسكو دي بلباو مكتشف المحيط الهادي (قبل ماجلان) عبر برزخ داريان ـ بانما بأنه وجد ثمة شيوخ القبائل يعتمون العمائم ويرتـــدون الجلابيب الواسعة من النسيج القطني الابيض على النموذج العربي ..

و ـ في كولومبيا شعب أسمر فاتح السمرة ولنسائه جمال يحاكي جمال العروق البيضاء وهو يزرع البطاطا وينسج القطن. ويعتقد الدكتور شاكر مصطفى ان محمد بن فو سلطان المنطقة الاسلامية بين جنوب المغرب حتى السنغال ومالي والتي عـــرف القدماء بعضها باسم شنقيط وتكرور ومالي هو الذي اكتشف أمريكا ، اذ جهز ألفي سفينة ؛ ألفا للرجال وألفا للاولاد وسار بنفسه (من اكتشف أمريكا ، ص ١٦ ـ ٤١ جامعة الكويت والمجتمع ١٩٦٨/٦٧) .. ولقد أشار الاب انستاس ماري الكرملي الى الالف واللام الموجودة في اللهجات الامريكية وهي عربية . كذلك عثر على بعـض المعادن المخلوطة بنسب معينة لا توجد الا في غرب افريقيا بنفس النسبة . كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن العرب وصلوا أمريكا قبل كريستوف كولمبس بمدة طويلة ..

٣ ـ الرحلة في طلب العلم ٠

٤ ـ التجارة ٠

٥ ـ استعداد العرب الفطري وواقع حياتهم في جزيرتهم ٠

٦ ـ حب الاستطلاع والرحلات من اجل البحث الجغرافي وغيره من العلوم ٠

٧ ـ الاتصال بالثقافات الاجنبية (عامل الترجمة) ٠

في الاعوام الاولى للخلافة عندما بدأت الفتوحات الاسلامية، تلك الفتوحات التي حملت العرب الى حدود الصين شرقا والمحيط الاطلسي غربا قد ساعدت من غير شك على اتساع افقهم الجغرافي نتيجة للملاحظة المباشرة والتجربة الواقعية ، ولقد تجمعت لديهم معلومات جغرافية قيمة ظلت مدة طويلة مقتصرة على الاوساط العسكرية والادارية ، ومن ثم خرجت الى الوسط العلمي ، وقد تطلبت الدولة معرفة الطرق والمسافات ومناطق الاستيطان والامكانيات الاقتصادية ٠٠ الخ٠ وكانت المعرفة الجغرافية مقتصرة في الفترة الاولى على الاماكن المقدسة او ذات الصلة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم كمكة والمدينة وبيت المقدس ٠ ويقترن باسم الحجاج اول ذكر معروف لدينا عن الخرائط عند العرب (٥) ٠

وكانت اول محاولة في الجغرافية الادارية والاقتصادية عام ١٠٠ هـ (٧١٩ م) (٦) ٠ وقد تطلب تطور الفتوحات الاسلامية

---

(٥) طلب الحجاج ان تصور له الديلم ، سهلها وجبالها وعقابها وغياضها ، فصورت له ٠

(٦) بعث عمر بن عبد العزيز الى واليه في الاندلس السمح بن مالك الخولاني بأن يخمس ما غلب عليه من أرضها وعقارها ويكتب اليه بصفة الاندلس وأنهارها٠

واتساع رقعة الامبراطورية العناية بوصف الاقاليم ودراسة ثرونها وقدرتها على دفع الضرائب ، ومن هنا كانت انطلاقة الجغرافية الادارية والسياسية كما تبدو واضحةفي كتاب المسالك والممالك الذي وضعه ابن خرداذبة (٧) ، وفي كتاب الخراج لقدامة بن جعفر . وبدأت العناية بالجغرافية تتبلور حول دراسة الاقاليم والمناطق دراسة وافية وصارت المعرفة الجغرافية هي الغاية . ويمكن القول بأن القرن الرابع الهجري يمثل دور النضج في الجغرافية العربية وكان التأليف الجغرافي قد أخذ الاتجاهات التالية :

١ ـ العناية بأقطار العالم الاسلامي كما عند البلخي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي .. الخ .

٢ ـ التخصص في قطر واحد كالهمذاني في « صفة جزيرة العرب » والبيروني في «الهند» .

٣ ـ وضع المعجمات الجغرافية التي بدأت في القرن الخامس الهجري « كمعجم ما استعجم للبكري » و « معجم البلدان » لياقوت الحموي .

٤ ـ وضع الموسوعات الجغرافية التي بلغت ذروتها فيالقرن الثامن للهجرة «كنهاية الارب» للنويري و « صبح الاعشى » للقلقشندي و « مسالك الابصار » لابن فضل الله العمري .

ولقد طرق العرب جميع الفروع الجغرافية والوصفية والطبيعية والسياسية والادارية والاقتصادية والتاريخية والمدن والسكان. الخ.

---

(٧) فارسي الاصل ، بغدادي النشأة ، توفي حوالي ٣٠٠ للهجرة ، وقد تولى ادارة البريد في منطقة الجبال ووضع كتاب المسالك والممالك في أواسط القرن التاسع الميلادي ، وكان وضع الكتاب بعد تكليفه من الخليفة المعتمد .

وكان انتاج الجغرافيين العرب غزيرا ، فيرى كراتشكوفسكي ان الادب الجغرافي العربي يمثل المصدر الاساسي الموثوق ليس لدراسة ماضي العالم الاسلامي فحسب بل يمدنا بمعلومات من الدرجة الاولى عن جميع البلاد التي بلغها العرب او التي تجمعت لديهم معلومات عنها ٠

وتعتبر الرحلة والتجارة أهم العوامل التي أدت الى تطور علم الجغرافية والوصول به الى أعلى المستويات ٠

١ ـ الرحلة :

كانت الرحلة عنصرا قويا في حياة المجتمع الاسلامي حيث أوصى القرآن الكريم المسلمين بالسعي في طلب الرزق « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » ٠ وكانت الرحلة تتم لاسباب وغايات متعددة :

أ ـ رحلة الناس للحج وزيارة الاماكن المقدسة ٠
ب ـ رحلة الناس في طلب العلم ٠
جـ ـ رحلة الناس في سبيل التجارة ٠
د ـ رحلة الرسل المترددين بين الملوك والامراء ٠
هـ ـ رحلة المغامرين وجوابي الآفاق ٠

وكان لاتساع شبكة طرق المواصلات والامن السائد أثرهما في شد الرحال والطواف في البلدان ، وكانوا يشعرون في أي بلد يحلون فيه كأنهم في بلدهم ، فالتجانس في العقيدة والدين بين أبناء تلك البلدان وتعلم اللغة العربية كان خير زاد يمكن ان يتزود به المسافر سواء لاداء فريضة الحج او التجارة أو غيرذلك٠

● فرض الله على المسلمين حج البيت لمن استطاع اليه سبيلا ، فأخذ المسلمون يلبون داعي الله ويفدون من كل جهة من جهات العالم الاسلامي المترامي الاطراف ، وكان من الطبيعي ان يقضي الحاج أشهرا بل سنوات في طريقه الى مكة والمدينة ،

وفي هذا الطريق الطويل يتزود بالمعلومات الجغرافية والبشرية في كل منطقة يمر بها او مع كل جماعة يصادفها ، وعندما تصل وفود الحجاج الى بيت الله الحرام يكون هنالك تبادل في المعلومات والآراء سواء أكانت جغرافية أم أدبية أم اقتصادية وجوانب أخرى من المعرفة ، كما ستعقد هنالك ندوات علمية تطرح فيها قضايا العالم الاسلامي ، ولا شك بأن ذلك سيحرك الشوق عند الكثيرين للسفر الى بلاد الاسلام ، وبالفعل فان كثيرا من الرحلات الجغرافية الطويلة بدأت بالحج كرحلة ابن بطوطة وابن سعيد المغربي وغيرهما كثيرون ٠

● أما الرحلة في طلب العلم فترتبط بالدين والدنيا معا فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم «اطلبوا العلم ولو في الصين» كما حث الاسلام على طلب العلم وميز العلماء على غيرهم »هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» ، وهكذا فقد غدا الارتحال في طلب العلم منذ القرن الاول للهجرة أشبه بالضرورة اللازمة لتكملة الدورة الدراسية ، ففي طلب العلم رحل الناس من الاندلس الى بخارى ومن بغداد الى قرطبة ، وهنا نشير الى الفقيه الاندلسي أسعد الخير الانصاري المتوفى عام ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) الذي نعت بالصيني لارتحاله اليها طلبا للعلم ، كما أورد مؤرخ الاندلس المقري اسماء (٢٨٠ شخصا) رحلوا الى المشرق في طلب العلم وحده وليس لغرض التجارة او الحج ٠

وكان لاتساع الامبراطورية الاسلامية اثره على ارسال البعوث والسفارات الى الخارج كسفارة ابن فضلان ، الذي أوفده الخليفة المقتدر في صفر سنة ٣٠٩ هـ (يونيو سنة ٩٢١ م) من قبله الى ملك البلغار حيث وصل في ١٣ محرم سنة ٣١٠ هـ (١١ مايو سنة ٩٢٢م) ٠ وفي طريق عودته الى بغداد دون وصفا لرحلته في كتاب لعله أول ما يعول عليه بالنسبة لمنطقة لم يكن يعلم عنها حتى ذلك الوقت الا القليل ولقد لقيت كتاباته عن اقليم الفلجا وقزوين تقديرا عظيما ٠ كذلك رحلة ابي دلف مسعر بن مهلهل

الينبعي الخزرجي الى الصين · أوفده اليها الامير الساماني نصر بن أحمد عام ٩٤٢ م ، وهي من الرحلات التي زودت العرب بمعلومات طيبة عن الصين (٨) · كذلك بعثة هارون الرشيد الى شارلمان · ولقد ورد في الحوليات الصينية عدد كبير من البعثات العربية قد وفدت الى الصين في مختلف الفترات · كما ان حب الاستطلاع والتفتيش عن المغامرة دفع الكثير من المسلمين للانطلاق من مدنهم الى العالم المترامي الاطراف كرحلة محمد بن فو الى أمريكا ورحلة أولئك الشباب المغرورين (أوالمغررين) الذين ورد ذكرهم عند الادريسي في نزهة المشتاق حيث ورد خبر اولئك الفتية الذين ابحروا في أواخر القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) في عهد المنصور بن ابي عامر يتحدون الظلمات في بحر الظلمات حتى وصلوا الى جزيرة كثيرة الاغنام والخير ثم جزيرة فيها عمارة وحرث ثم اعتقلوا وأعيدوا معصوبي الاعين الى ما يبعد شهرين عن بلدهم الاول ·

ومما شجع المسلمين على مثل هذه الرحلات وحدة العالم الاسلامي اول الامر ثم بعد التفكك السياسي بقيت الوحدة الدينية واللغوية ، فلا يشعر المسلم المسافر بأنه غريب في اي بلد اسلامي لان المسلمين اخوة ـ «والمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا» ـ كما ان الايمان بأن مصيره مقدر عليه «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة» · سهل كثيرا من المصاعب التي يحسب لها غير المسلمين ألف حساب ·

---

(٨) خصباك ، دكتور شاكر «في الجغرافية العربية» : ص ١٠٥ ·

ابو دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي الينبعي · ولد في ينبع بجوار المدينة عاش في بلاط الامير الساماني نصر بن احمد ابن اسماعيل ما بين (٣٠١ - ٣٣١ هـ (٩١٣ - ٩٤٢ م) روي ان مبعوثا هندياًمن قبل الامير الهندي كلاتلي بن شخبار قصد بلاط الامير الساماني في سفارة ودية فلما عادت البعثة رافقها ابو دلف الذي زار كشمير وكابل وسستان وساحل ملبار وكرماندل : احمد ، نفيس «جهود المسلمين في الجغرافية» ص (٥١ - ٥٢ ·

وهكذا انطلق الجغرافيون العرب وطلاب المعرفة في ارجاء العالم الاسلامي المترامي الاطراف وتمكنوا من ان يجمعوا معلومات جديدة عن ممالك الاسلام وذلك عن طريق المشاهدة الشخصية والسؤال والاستقصاء مما لم يكن مهيأ للجغرافيين السابقين ٠ وكان من أثر هذه الرحلات ظهور القصص البحري وأدب المغامرات في وقت مبكر ممثلا في رحلة التاجر سليمان (٨٥١ م) التي زاد عليها ابو زيد حسن السيرافي فيما بعد وقصة السندباد البحري ٠٠الخ٠٠ وتحوي هذه القصص وصفا ممتعا وشيقا لاخبار الملاحين والتجار بين سيراف على الخليج العربي، والصين ، وما تعرضوا له من الاهوال في تلك الرحلات (٩) ٠

وتمثل الرحلة الوجه المشرق للجغرافية العربية وفي بطونها معين لا ينضب من المعلومات التاريخية والاقتصادية والانثربولوجية عن جميع مناطق العالم الاسلامي ٠ ولقد اعتمد كبار الجغرافيين المسلمين على الرحلة في جمع معلوماتهم او التأكد مما سمعوه او نقلوه فزاروا معظم البلدان التي كتبوا عنها وألفوا كتبا تحدثوا فيها عن رحلاتهم فعرفت الناس بأجزاء كثيرة من العالم كانت مجهولة تقريبا قبلهم ٠ وكان دافع اغلب كتاب الرحلات الحج الى بيت الله الحرام وتهيأت لهم الفرص لزيارة ديار الاسلام ، فدون البعض مشاهداتهم ولم يدون البعض الآخر ٠ ولقد وردت في كتاباتهم المعلومات البشرية والاقتصادية والمعالم الطبوغرافية والبلدان التي زاروها ، وتعتبر رحلة ابن جبير أفضل نموذج لهذا النمط من الكتابة الجغرافية ثم رحلة ابن بطوطة ٠٠ الخ٠ وهكذا نجد بأن الرحلة تمثل المصدر الاساسي للمعلومات الجغرافية ، ولا نكاد نلتقي بأي جغرافي عربي مرموق لم يكن قد اعتمد في كتاباته اعتمادا أساسيا على رحلاته الشخصية ٠

ويقسم الرحالة الى مجموعتين :

---

(٩) عبد العليم ، الدكتور أنور : ابن ماجد الملاح : ص ٣٠ ٠

أ ـ صنف يطوف البلدان لغرض علمي لكي يسجل المعلومات الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية تسجيلا أمينا ٠

ب ـ صنف يطوف لاغراض سياسية ـ تجارية ـ دينية ثم يدون ملاحظاته في كتاب وينتمي الى هذا الصنف الرحالة الادباء حيث يغلب على هذه الرحلات الطابع الادبي (١٠) ٠

وسنذكر في الصفحات التالية على سبيل المثال لا الحصر بعض الجغرافيين العرب الذين اعتمدوا في جمع معلوماتهم وكتابة مؤلفاتهم على الرحلة بالدرجة الاولى : ـ

١ ـ **اليعقوبي** : يذكر اليعقوبي في كتابه فتوح البلدان ٠٠ « سافرت حدث السن واتصلت أسفاري ودام تغربي ، فكنت متى لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره » ٠٠ الخ٠

وقد تنقل اليعقوبي في ديار الاسلام وكان حريصا على تدوين ملاحظات عن الجغرافية الطبيعية للمناطق التي مر بها والمجتمعات البشرية التي تعرف عليها ٠ولقد سافر الى أرمينية وبلاد فارس والهند والجزيرة العربية وبلاد الشام والمغرب والاندلس ٠ ولقد اعتمد في وصفه للمناطق التي مر بها على ملاحظاته الخاصة ٠

٢ ـ **الاصطخري** : زار الجزيرة العربية ومصر والشام والعراق وبلاد ما وراء النهر بالاضافة الى موطنه فارس ٠

٣ ـ **المسعودي** : أمضى المسعودي ربع قرن من عمره في الرحلات ، حيث جاب الممالك المختلفة ودرس أحوال الشعوب والامم التي مر بها وتحمل في سبيل ذلك أذى كبيرا ٠ رحل المسعودي من بغدادسنة ٩٠٥ م وظل يتجول بين فارس وكرمان حتى سنة ٩٠٨ م٠

---

(١٠) خصباك ، دكتور شاكر ـ نفس المصدر : ص ٤٣٩ ٠

ووصل الى مجاهل الهند وغابات سرنديب (سيلان او سيرالانكا) وعبر البحر العربي ، وبعد تجواله في العراق رحل الى فلسطين ومنها الى الفسطاط ، ثم رحل جنوبا حتى يقال أنه وصل الى منابع النيل حيث يقول : « رأيت النيل ينبع من اثنتي عشرة عينا تصب الى مجرى هناك كالبطائح ثم يجتمع الماء جاريا حتى يخترق السودان ويصل مدينة اسوان » .

ولقد وصل الى بحر الصين وجزر المحيط الهندي وأذربيجان وجرجان وبلاد ما وراء النهر ووصل الى سواحل البحر الاسود .

٤ ـ **ابن حوقل** : بدأ رحلة طويلة سنة ٩٤٢ م من بغداد وعاد اليها بعد ٢٨ سنة (أي سنة ٩٧٠ م) . وخلال رحلته هذه زار جميع أقطار العالم الاسلامي في الهند الى اسبانيا ووصل بلاد البلغار والحوض الادنى لنهر الفولجا ولقد لقي الاصطخري سنة (٩٥١ ـ ٩٥٢ ، ووضع كتابه صورة الارض الذي يعتبر موسوعة جغرافية ، فقد وصف فيه المدن والانهار والغدران والقفار كما تطرق الى ثروة البلاد التي زارها .

٥ ـ **المقدسي** : عاش في القرن الرابع للهجرة . كان يهوى الاسفار ولا يبخل بوقت او جهد أو مال في سبيل تحقيق هوايته، ويقال أنه أنفق ١٠٫٠٠٠ درهم وذكر في كتابه :

« جبت البلدان والصحراء وقطعت على قوافلنا الطرق، وسجنت في الحبوس ، وأخذت على أني جاسوس كما نلت العزة والرفعة ودبر قتلي غير مرة وكسيت خلع الملوك وأمر لي بالصلات » .

ولقد دفعه حبه للاسفار الى زيارة جميع أنحاء العالم الاسلامي باستثناء الاندلس والسند وربما سجستان . ويلوح أنه قد زار صقلية . ونتيجة لرحلاته الواسعة واستفهاماته العديدة المتواصلة ونشاطه الجم فقد استطاع المقدسي ان يضع كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» . ولقد زار جزيرة العرب

وبلاد الشام ومصر وبلاد المغرب ومعظم اقطار العجم كمنطقة الديلم والجبال وخوزستان وفارس وكرمان ٠٠ الخ٠

٦ - **الادريسي** : ولد في ثغر سبتة ودرس في قرطبة بالاندلس ٠ بدأ أسفاره في سن مبكرة حيث جاب شبه جزيرة ايبريا وعبر الى انجلترة ، وقام بجولات في المشرق والمغرب وفي عام ١١١٦ زار آسيا الصغرى ولقد تمكن من جمع حصيلة جغرافية طيبة وكتب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» وفي سنة ١١٣٨ عبر البحر الى صقلية حيث استبقاه روجر الثاني النورماندي ٠ ولقد طلب روجر من الادريسي ان يقدم له معلومات دقيقة عن جغرافية الدول القريبة من صقلية فقام بسلسلة من الرحلات العلمية جاب فيها معظم انحاء المنطقة ، ولقد جاب حوض البحر المتوسط ، شرقيه وغربيه ، ونجح في تحديد منابع النيل والبحيرات الاستوائية ٠ ولم يزر الادريسي الاقطار الاسلامية البعيدة ٠

٧ - **ناصر خسرو** : ولد بجوار بلخ سنة ١٠٠٣ م ، مر بفلسطين في طريقه الى مكة وفي سنة ١٠٤٧ كان في بيت المقدس ورحل في فترة سابقة الى بلاد الهند وعاش في بلاط السلطان محمود ٠ ودون مذكراته بالفارسية ٠ كتب رحلته سفرنامة (زاد المسافر) التي حوت ملاحظات قيمة عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية للبلدان العربية وبصورة خاصة فلسطين ومصر وسوريا والحجاز كما تضمن كتابة مشاهداته في فارس والعراق ٠٠ الخ٠

٨ - **سليمان التاجر** : المعروف بالسيرافي ، ولد عام ٢٧٨ هـ - ٨٩٢ م ٠ وتوفي حوالي عام ٣٦٨ هـ - ٩٨٩ م ٠ وهو من الرحالة الاوائل الذين جابوا بحار الهند والصين وخلجانها ٠ للسيرافي كتب كثيرة في الجغرافية ولكن أهم ما عرف لحد الان :

أ - كتاب رحلة السيرافي ، كتبها سنة ٩٥١ م ، ترجم هذه الرحلة الى الفرنسية المستشرق الفرنسي رينوود ونشرت عام ١٧١٨ ، ولقد وصلتنا عن طريق ابي زيد السيرافي ٠

ب ـ كتاب سلسلة التواريخ في احوال بلاد الهند والصين ٠

جـ ـ كتاب جزيرة العرب (١١) ٠

٩ ـ **بزرك بن شهريار النوخذاه** : من مدينة رام هرمـــز ، جمع القصص من أفواه غيره من الربابنة والتجار من سيـــراف والبصرة وعمان ، قصصا عن الهند والشرق الاقصىوشرقأفريقيا وقصص البحر ٠ كتابه عجائب الهند بره وبحره وجزائره ، كتب أكثره بعد منتصف القرن العاشر بقليل ٠ ويؤخذ من لقب المؤلف أنه كان ربانا في الملاحة ٠ في الكتاب نظرات دقيقة عن حياة البحر في ذلك العصر ٠ ويمتاز الكاتب ببراعة القصة ويمكن أن يعد كتابه مقدمة قيمة لقصص السندباد ٠ مترجم الى اللغـــة الفرنسية نشره «فان ديرليت» (١٢) ٠

١ ـ **ابن جبير** : توجه الى الحج في سن مبكرة فغادر الـــى سردينيا وصقلية ثم دخل ميناء الاسكندرية ثم غادرها الـــى صعيد مصر فوصل الى مرفأ عيذاب على البحر الاحمـــر وركب سفينة الى جدة واخذ قافلة الى مكة فالمدينة ثم الى الكوفة وزار بغداد وسامراء والموصل (في العراق) ومنها الى دمشق ومن عكا اخذ سفينة الى صقلية وفي عام ١١٨٥ وصل الىغرناطة بعد غيبة دامت أكثر من سنتين ، ثم خرج في رحلته الثانية التياستغرقت عامين ٠ ولقد نجح في رسم صورة واضحة مملوءة بالحياة للمدن التي زارها ٠

١١ ـ **ابو حامد الغرناطي** : جال في اقطار عديدة في أوروبا وآسيا اضافة الى البلدان العربية ٠ غادر مسقط رأسه بالاندلس عام ٥٠٠ هـ ـ ١١٠٦ م وطاف بنواحي المغرب الاقصى ووصل الى

---

(١١) صبري محمد حسن ، «الجغرافيون العرب» ، ص ٧٣ ـ ٧٤ ٠

(١٢) النوخذاه : كلمة فارسية مكونة من مقطعين : ناد (سفينة) ، خدا : سيد ، رب) نفيس احمد ، «جهود المسلمين في الجغرافيا» ص ١٢٣ ٠
جورج فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي : ص ٢٠٤ ٠

سجلماسة ، ثم انتقل الى تونس فالاسكندريـــة (نزل فـــي سردينية) ثم الى القاهرة عام ٥١٢ هـ - ١١١٨ م ٠

ثم زار دمشق وبغداد عام ٥١٦ هـ - ١١٢٣ م ٠ ثم عبر الـى ايران وزار أردبيل وخوارزم التي دخلها عن طريق بلاد البلغار ٠ كما زار جنوب روسيا ، اذ عبر البحر الاسود في آسيا الصغرى الى شبه جزيرة القرم والى بحر ازوف واتجه شرقا الى مصـب نهر الفولجا ، ثم انحدر الى شرق ايران وخوارزم مارا ببحـــر خزر ، ولقد اقام في مدينة سجسين او اتل (تقع آثارها بالقرب من استراخان) ، كما أقام في بلاد المجر التي يسميها «انقورية» ويسمى أهلها «الباشغرو» ثم غادر المجر قاصدا سجسين ومر ببلاد الصقالبة ووصل خوارزم سنة ٥٤٥ هـ - ١١٥٣ م ٠ ثم قصـد الحج مارا ببخارى ومرو ونيسابور والري واصفهان والبصـــرة ، وبعد أدائه لفريضة الحج عاد الى بغداد ثم الى الموصل فحلـب والى دمشق التي توفي فيها وهو في الثانية والتسعين من عمره وكتب « تحفة الالباب ونخبة الاعجاب » و «المعرب عـــن بعض عجائب المغرب» ٠

١٢ - **الهروي** : ابو الحسن علي بن أبي بكر المتوفى سنـــة ١٢١٤ م ويطلق على رحلته اسم «الاشارات في معرفة الزيارات» ولقد زار مدينة حلب والشام والساحل وبلاد الفرنج وفلسطيـــن وبيت المقدس ومدينة الخليل وديار مصر بأسرها (الصعيد والبلاد البحرية) وبلاد الروم وجزيرة ابن عمر وديار بكر والعراق والهند والحرمين الشريفين واليمن وبلاد العجم ٠

١٣ - **علي بن سعيد المغربي** : قضى الجانب الاكبر من حياته متنقلا في طلب العلم ، حيث انتقل من المحيط الاطلسي غربـا الى الخليج العربي شرقا ٠ حيث زار شمال افريقية ومصر ثـم الشام فالموصل وبغداد والبصرة ثم رحل الى حلـــب ودمشق ٠ واستقر في بلاط أمير تونس سنة ١٢٥٤ وفي عام ١٢٦٧ خرج في رحلته الثانية حيث مر بالاسكندرية ثم الى حلب ثم أرمينية ، وكتب جغرافية ابن سعيد المغربي ٠

١٤ ـ **محمد العبدري** : هو محمد بن علي بن عبدالدار القرشي· كتب رحلته «الرحلة المغربية» سنة ١٢٨٩ م· ولقد زار في رحلته بلاد السوس الاوسط وتلمسان والجزائر وبجاية وقسنطينة وتونس وليبيا والاسكندرية والقاهرة واتبع الطريق البري الى مكة ثم عاد مارا بفلسطين والقاهرة ثم الى الاسكندرية ·

١٥ ـ **ياقوت الحموي** : ولد عام ١١٧٩ ، بدأ حياته العملية بالرحلة والاسفار في تجارة سيده وكان يسجل ما يستحق التسجيل في مذكراته · ومن أكثر السفرات التي تركت أثرا في نفسه هي رحلاته العديدة الى كيش (قيس) · بدأ تجواله مارا بتبريز والموصل والشام ومصر ، ثم عاد الى دمشق وحلب واربيل (في العراق) فأرومية وتبريز ومنها الى ايران الشرقية · ولقد أمضى عامين في نيسابور ثم غادرها الى هراة وسرخس الى ان بلغ مرو · ثم هرب الى خراسان بعد سماعه بغزوات جنكيزخان حيث مر بالري وقزوين وتبريز الى ان بلغ الموصل · وفي عام ١٢٢٧ سافر الى فلسطين ومصر ثم رجع الى حلب حيث قام بتهذيب معجمه «معجم ياقوت» وتوفي سنة ١٢٢٩ م·

١٦ ـ **ابن بطوطة** : ويمثل آخر جغرافي عالمي من الناحية العملية · اي انه لم يكن نقالا معتمدا على كتب الغير بل كان رحالة بلغ محيط أسفاره ٧٥٠٠٠ ميل · ولد في طنجة سنة ١٣٠٤ م· غادر موطنه طنجة وهو في الثانية والعشرين من عمره بهدف الحج وعاد وعمره قد شارف على الخمسين · ولقد زار في رحلته نجد والحجاز والبحرين وعمان وحضرموت واليمن والعراق ومصر وبلاد الشام واقطار المغرب العربي ، وساحل افريقيا الشرقي وبلاد فارس وبلاد الاناضول وأواسط اسيا وتركستان والحوض الادنى لنهر الفولجا والهند وجزر الساحل الجنوبي الغربي للهند وجزر الملديف وسرنديب (سيلان ـ سيرالانكا) والملايو وجنوب الصين وربما تقدم الى شمال الصين · ثم عاد من جولته الى الاندلس · ولم يكد يستقر في فاس حتى عبر الصحراء الكبرى متجها الى السودان الغربي ووصل حتى تمبكتو · وكان كما يقول « لا يسلك طريقا سبق له

ان سلكه من قبل » ولهذا فقد استحق عن جدارة لقب أمير الرحالة المسلمين الذي أطلقته عليه جامعة كمبردج ، ولقد أملى رحلته « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » ٠

هذا بعض من أردنا ذكرهم من الرحالة العرب وهنالك الكثير ممن لم نذكرهم وهذا يقدم الدليل على اتساع الادب الجغرافي العربي الاسلامي وأثر الرحلة فيه ٠

٢ ـ التجارة :

ان البيئة الصحراوية الحارة لشبه جزيرة العرب دفعت سكانها للعمل منذ القديم في التجارة برا وبحرا ٠ كما ان خلو السماء من الغيوم وارتفاع درجة الحرارة نهارا وخلو المنطقة من المعالم الطبيعية دعت الى السير ليلا والافادة من حركات النجوم والقمر والرياح وحركة الشمس نهارا واستعمال الازياج الدقيقة للافادة منها في حركتهم (١٣) ٠ وكان لقوة ملاحظة البدو أثرها على تتبع النجوم تتبعا جيدا ومعرفة مواقعها حتى ان ٥٠ ٪ من أسماء النجوم مستعملة بلفظها العربي في اللغات الاجنبية (١٤) ٠ ولقد لعبت بلاد العرب دوما دور الوسيط في التبادل التجاري بين الهند وافريقية والعراق والامبراطورية الرومانية ٠

---

(١٣) للبدو معين لا ينضب من تجاربهم في مجال الجغرافية الفلكية ولترحالهم في الليل والاهتداء بالقمر والنجوم ٠ فاستطاعوا توقيت ساعات الليل بفضل طلوعها ومغيبها وحددوا عدد منازل القمر بـ ٢٨ منزلا وأعطوا لكل واحد اسما عربيا وعرفوا حوالي ٢٥٠ نجما أطلقوا عليها أسماء عربية جمعها الفلكي عبد الرحمن الصوفي المتوفى ٣٧٦ هـ ـ ٩٧٦ م ٠

(١٤) راجع صروف ، الدكتور يعقوب : بسائط علم الفلك ٠

ومن المعلوم ان اقامة بعض العبادات الاسلامية يقتضي المعرفة ببعض الجوانب الفلكيه كتعيين أوقات الصلاة واتجاه المسلمين الى الكعبة وصلاة الخسوف التي يقتضي معرفتها معرفة حركات النيرين (الشمس والقمر) وكذلك هلال رمضان ٠٠ الخ ٠

ولقد كانت التجارة الحرفة الرئيسية للمجتمعات العربية في مكة والمدينة حيث كونت القاعدة الاساسية لحياتهم الاقتصادية والاجتماعية · وكانت القوافل من الجمال تربط الصحراء مع المناطق الزراعية في الشمال (الهلال الخصيب) وفي الجنوب (اليمن) ، كما قال تعالى « لايلاف قريش · ايلافهم رحلة الشتاء والصيف » ·

وتكون التجارة العمود الفقري لحياتهم الاقتصادية ومصدر ثروتهم الرئيسي · ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم في أول حياته تاجرا وكذلك الخلفاء الراشدون وهذا أعطى تزكية عظيمة للتجارة كحرفة · ولقد تمتع التجار بمركز قيادي في ذلك المجتمع البدائي · وكان الخلفاء المسلمون يشجعون التجارة للاسباب التالية :

أ - توفر الحاجيات الضرورية والتي يعملون في سبيل الحصول عليها بكل سخاء ·

ب - توفير ما يحتاجه الشعب من الغذاء والفواكه والمواد الاولية المختلفة ·

جـ - توفير الخامات الاولية للصناعة (١٥) ·

ولقد اهتموا كثيرا بدراسة المسالك وابعادها وتعبيد الطرق وتأمين السفر عليها حتى ان فكرة حفر قناة السويس مرت بخاطر هارون الرشيد قبل ١٠٠٠ سنة على الاقل من ظهور هذه الفكرة عند دلسبس · ويشير القلقشندي الى ان المشروع لم ينجح لان مستوى ماء البحر الاحمر كان أعلى من مستوى ماء البحر المتوسط (١٦) ·

---

(١٥) Al-Feel, The Histrical Geography of Iraq : Vol II p. 50

(١٦) «صبح الاعشى» ج ٢ ص ٩٣ ·

وقد دفع الناس للتجارة بالاضافة الى عامل البيئة عوامل كثيرة قد نذكر منها ما يلي :

أ - هنالك بعض الايات الكريمة والاحاديث الشريفة تشجع على التجارة .

ب - ساعد الحج الى مكة العرب والمسلمين على تقدير المسافات ومعرفة المحطات التي تؤدي الى مكة وقد سجلت .

ج - ان الاسلام كدين دفع الانسان بعيدا عن موطنه في طلب الرزق وذلل له المصاعب التي يخشاها غيره لايمانه بانه سيلاقي ما كتب عليه ، (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) .

د - ساعد الدين الاسلامي على ربط أواصر الاخوة بين المسلمين كما فرض قراءة القرآن باللغة العربية ، كل هذا جعل التاجر المسلم لا يشعر بالغربة اينما ذهب .

ولقد شجع التجار الخلفاء اذ اعفوا بضائعهم من الضرائب بل في بعض الاحيان قدموا لهم الهدايا . ولقد احتل التجار مراكز مهمة في الدولة كالوزارة وكانوا يحضرون مراسيم تنصيب الخلفاء وكان التجار الاجانب يدعون ايضا لمثل هذه الحفلات (١٧) .

وكون التجار ثروات ضخمة حتى ان الحكومة كانت تقترض منهم أيام الحاجة (١٨) . وعملوا كسفراء في بعض الاحيان (١٩) وكان التجار يتكلمون عدة لغات بالاضافة الى العربية (٢٠)

---

(١٧) ابن الفوطي «الحوادث الجامعة» ص ٥٥ ، ١٦٠ حتي ، فيليب « تاريخ العرب » ج ٢ ص ٣٧٩ .

(١٨) ابن الفوطي : نفس المصدر . ص ٤٣٠ .

(١٩) المقريزي : كتاب السلوك في معرفة الملوك : ج ٢ ص ٤٤٦ . العزاوي المحامي عباس «تاريخ العراق بين احتلالين» : ج ١ ص ٢٦٠ .

(٢٠) ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ص ١٥٣ - ١٥٤ .

وبلغوا من الثروة حدا كبيرا حتى ان احد تجار البصرة انفق مليون دينار على زواج ابنته وآخر في البصرة كان يملك اسطولا كاملا • ولقد صادرت الدولة العباسية من ابن الزيات ١٦ مليون دينار ولم تؤثر على ثروته (٢١) • ولقد تعامل تجار العرب مع زنوج سفالة (موزمبيق) (٢٢) وسكان ساحل افريقيا الشرقي (٢٣) • ومع سكان النيكوبار (جزائر الهند الشرقية) واتبعوا طريق الاشارات ولمس الايدي في التجارة مع من لا يعرف اللغة العربية (٢٤) وكانت هنالك مناطق معينة يقف عندها التجار الاجانب او العرب والمسلمون تسمى «الماصر» لتقدير الكمارك المفروضة على بضائعهم كما كان التجار العرب يدفعون مثل هذه الكمارك في المناطق التي يقصدونها للتجارة • فقد كان الصينيون يتقاضون ٣٠ ٪ من التجارة (٢٥) وفي بلغاريا يدفعون ١٠ ٪ (٢٦) • أما التجار المسلمون فكانوا يدفعون في ديار الاسلام ٢ر٥ ٪ من قيمة بضائعهم كمارك بينما الذميون يدفعون ٥ ٪ أما التجار الهنود والصينيون فكانوا يدفعون ١٠ ٪ (٢٧) • ولقد اندفع التجار في تجارتهم حتى كوريا (سيلا او شيلا) والجزر اليابانية (ربما واق واق) شرقا والمحيط الاطلسي غربا وجنوبا في افريقية

---

(٢١) Beazley ; The Dawn of Modern Geography : Vol. I p. 409
Al Feel ; op. cit. : Vol. II p. 65

(٢٢) الدوري ، دكتور عبد العزيز : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ص ١٦٢ •

(٢٣) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة : ص ١١٠ - ١١١ •

(٢٤) Broomhall ; Islam in china : p. 9

(٢٥) Ibid. p. 8.

(٢٦) ابن رسته «الاعلاق النفيسة» : ص ١٤٠ - ١٤١ ، اليعقوبي : فتوح البلدان : ص ٥٤٠ •

ابن خرداذبة : نفس المصدر : ص ١٥٤
Beazley, Vol. I p. 417. Broomhall p. 47

(٢٧) زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي : ج ١ ص ٢٩٨ ، عواد : الماصر في بلاد الروم والاسلام •

حتى سفالة (موزمبيق) والناتال وفي أوروبا حتى شمالها (٢٨) ولقد جاب التجار العرب المسلمون جميع البحار المعروفة ولكن البحرين الاساسيين لنشاطهم التجاري كانا المحيط الهندي والبحر المتوسط . ولقد وصلنا وصف دقيق للبحار المعروفة انذاك وأدقها ذلك الوصف الذي اورده البيروني حيث يقول :

« تصور العمارة انها في نصف الارض الشمالي ومن هذا النصف في نصف .. ويطيف به بحر يسمى من جهة المغرب والمشرق محيطا ويسمى اليونانيون ما يلي المغرب منه وهو ناحيتهم أوقيانوس وهو قاطع ما بين المعمورة وبين ما يمكن ان يكون وراء هذا البحر في الجهتين من بر وعمارة في جزيرة . أما من جهة الشمال فالعمارة تنقطع بالبرد .. الخ » ويضيف « أما البحر الذي في غرب المعمورة وعلى ساحل طنجة والاندلس فانه سمي البحر المحيط وسماه اليونانيون اوقيانوس . ولا يلج فيه وانما يسلك بالقرب من ساحله » .

وهو يمتد من عند هذه البلاد نحو الشمال على محاذاة أرض الصقالبة ويخرج منه خليج عظيم في شمال الصقالبة ويمتد الى قرب بلغار بلاد المسلمين ويعرفونه ببحر ورنك (بحر بلطيق) (٢٩) » .

وكان البحارة المسلمون يعرفون طريقهم في هذه البحار معرفة تامة ولو أنهم لم يعرفوا استعمال البوصلة حتى القرن الحادي عشر ، الا انهم كانوا يستعينون بالشمس والنجوم لمعرفة طريقهم ، وكانوا يعتمدون على الحمام الزاجل في مراسلاتهم ، ويعتمدون على الرياح الموسمية وانتظامها في حركتهم . وكان للبحارة خرائط يعملون بما فيها بكل ثقة

---

(٢٨) Al-Feel, op. cit. : Vol II p 79

(٢٩) البيروني ، كتاب الهند ، ص ٩٦ ، خصباك ، في الجغرافية العربية : ص ٢٠١ - ٢٠٣ .

واطمئنان (٣٠) ٠ وفي القرون التالية أمتلك البحارة العرب المسلمون خرائط ممتازة وأدوات بحرية اخرى دقيقة (٣١) ٠ ولقد اخبرنا باروس Baros ان البحار احمد بن ماجد (القرن١٥م) اطلع فاسكو دي جاما على خريطة مفصلة لساحل الهند ٠ ولقد اطلع فاسكو دي جاما احمد بن ماجد على اصطرلاب خشبي واخر معدني ولكن البحار العربي لم يبد اي استغراب لما شاهده وأجاب جاما قائلا :

« اننا نملك خيرا من هذه المعدات بالاضافة الى استعانتنا بالنجوم (٣٢) كما كانت القوافل من الجمال (التي يبلغ عدد جمالها في بعض الاحيان اكثر من ١٠،٠٠٠ جمل) تسير على الطرق المشهورة كطريق الحرير الاعظم (طريق خراسان) الذي يبدأ من البحر المتوسط - بغداد - همدان - قزوين - الري - نيسابور والى مرو ثم الى بخارى وسمرقند والصغد حيث يتفرع الى فرعين يؤديان الى الصين ، حاملة التجارة العربية التي وصلت الى أقطار العالم المعروفة انذاك ٠ ولقد افادت الجغرافية من التجارة وبالعكس افادت الجغرافية من التجارة وبالعكس افادت التجارة من الجغرافية ، فقد جاء في كتاب المسالك والممالك لابن حوقل ما يلي :

« هذا كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك وذكر جباياتها وخراجها وذكر الانهار الكبار واتصالاتها بشطوط البحار وما على سواحل البحار من المدن والامصار ومسافة ما بين البلدان للسفارة والتجارة ... الخ » ٠

---

(٣٠) الدوري ، دكتور عبد العزيز : نفس المصدر ، ص ١٤٤ الفيل ، العلاقات التجارية بين العراق والصين في القرون الوسطى : ص ١٠ ٠

(٣١) Arnold, Legacy of Islam : p. 96.

(٣٢) احمد نفيس ، جهود المسلمين في الجغرافية ، ص ٦٥ ٠

كما جعلت التجارة المعطيات الجغرافية اعظم بكثير مما كانت لدى اسلافهم من الامم الاخرى ووضعتها تحت تصرفه فوسعت افق الجغرافي وجعلته يكتب عن مناطق لم يرها بل سمع عنها من التجار والرحالة فيذكر المقدسي في كتابه « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » ما يلي :

« واستعنت على تبيانه بذوي العقول من الناس وممن لم أعرفهم بالغفلة والالتباس عن الكسور والاعمال في الاطراف التي بعدت عنها ولم يتعذر لي الوصول اليها » .. الخ.

ولقد تكلم الجغرافيين العرب عن مختلف القارات كما سنرى ومعظم معلوماتهم استقوها من رحلاتهم ومن الرحالين والتجار .

ولقد أقاموا علاقات تجارية مع معظم مناطق العالم المعروفة آنذاك .

التجارة مع اسيا :

كانت التجارة نشطة مع معظم المناطق الاسيوية قبل الاسلام بمدة طويلة . وكانت القوافل تقطع اسيا من البحر المتوسط حتى بكين . وكانت البواخر تمخر عباب المحيط الهندي حتى الجزر اليابانية ، ولقد اقام العرب المسلمون علاقات تجارية قوية مع الدول المعروفة أنذاك .

١ ـ العلاقات التجارية مع الصين :

كانت التجارة مع الصين نشطة منذ القديم وكانت المستوطنات التجارية الاسلامية قد تركزت في الصين في خانفو (كانتون) وزيتون وهانج شو ومراكز آخرى (٣٣) . واستنادا الى ابن

---

(٣٣) Arnold, Legacy of Islam, p. 95

Broomhall, op. cit : p. 8

استنادا الى ابن بطوطة (ص ٢٨٨) ان المسلمين كانوا يعيشون في مدينة زيتون والمدن الاخرى في احياء خاصة بهم .

بطوطة الذي زار الصين في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي فانه في كل مدينة من مدن الصين كان للمسلمين حي خاص بهم يسكنون فيه ولهم جوامعهم • اما في سن كالان (Sin – as – Sin) فكان للمسلمين جوامعهم وحتى أسواقهم ، وعندما زار ابن بطوطة هذه المدينة نزل في دار اوحد الدين من سنجار (٣٤) • وكان في كل مدينة في الصين يوجد قاض ومفتي (شيخ المسلمين) يحلون مشاكل المسلمين بل يعملون كوسطاء بين الحكومة والجالية الاسلامية • في سنة ٦٥١ م أرسل ملك العرب Ta - Shih رسولا الى البلاط الصيني لاول مرة (٣٥) •• ويعتقد ان التجار المسلمين كانوا من بين الجماعة الذين دانت لهم مدينة كانتون سنة ٧٠٠ م• وفي عام ٧٥٨ م• اصبح بامكان التجار العرب الاستيلاء على ميناء كانتون بالاتفاق مع بعض الثوار الاهليين وفرضوا شروطهم على حاكم المدينة (٣٦) •

واستمروا يفدون على كانتون حتى سنة ٧٩٥ م• وخلال الحكم العباسي قصدت بلاد الصين عدة وفود سجلت في حوليات عائلة Tang •

وكان العباسيون معروفين عند الصينيين باسم Heb - i - Ta - Shih (العرب ذوو الاردية السوداء) ثم اطلق عليهم Hui - Hui (٣٧) • وخلال القرن التاسع الميلادي كانت هنالك سفرات منتظمة بين الصين والعراق اذ كانت السفن الصينية تصل الى البصرة التي كانت من المراكز التجارية الاسلامية الرئيسية ، ولكن في سنة ٨٧٧ – ٨٧٨ م استولى احد الضباط الصينيين على خانفو وقتل معظم السكان • ويعتقد

---

(٣٤) نفس المصدر : ص ٢٩٠ •

(٣٥) Broomhall, pp. 13 - 14, Beazley. Vol. I p. 348

(٣٦) Ibid, p. 8.

(٣٧) حتي ، فيليب : تاريخ العرب المطول ، ج ٢ ص ٤٢١ – ٤٢٢ •
Broomhall, p. 25

انه قد قتل في هذه المعركة حوالي ١٢٠٠٠٠ مسلم ويهودي (٣٨) • وهاجر البـــاقون الى كالا Kala على الساحل الغربي لشبـه جزيرة الملايو) (٣٩) • ومنذ القرن العاشـر أصبحـت كالا المركز التجاري الرئيسي في المحيط الهندي حيث تلتقي السفـن الاسلامية والصينية لتتبادل البضائع (٤٠) • ولقد عملت الحكومة الصينية جهدها لاعادة التجار المسلمين الى كانتون وزيتون وفي نهاية القرن العاشر نجحت محاولاتها وعادت التجارة المباشرة مع كانتون وزيتون (٤١) • وفي خلال القرن الرابع عشر كان التجار الصينيون يفدون الى أسواق بغداد والتجار المسلمون يذهبون الى الصين (٤٢) •

وكان الوصول الى الصين يتم عن الطريق البري والبحري • ولكن الطريق البحري كان أسهل وأحسن حتى أن التجار من سمرقند وبلخ وبخارى يفضلون الطريق البحري ولهذا كانوا يأتـون الى البصرة ومنها يذهبون الى الصين بحرا • وكانت السفرة الـى الصين تتم في عامين (٤٣) •

كانت السفن تسير من شبه جزيرة العرب الى جنوب الهند وتستمر السفن مع امتداد الساحل الجنوبي لسرنديب حتى جزر

---

(٣٨) Arnold, p. 95

(٣٩) Beazley Vol. I p. 417, Arnold, p. 45

الدوري ص ١٦١ •

(٤٠) Chesney, The expedition for the survey of the River Euphrates and Tigris : Vol. p. 584

المسعودي ج ١ ص ٣٠٢ - ٣٠٧ • الدوري ص ١٦١ • Beazley, Vol. I p. 398

(٤١) المسعودي ١ ص ٣٠٢ - ٣٠٧ Beazley, Vol. I p. 398

(٤٢) الفيـــل ص ٤ - ٥ • Beazley, Vol. II p. 444 (foot note)

(٤٣) الدوري • ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ • المسعودي ج ١ ص ٣٤٧ - ٣٤٩ • Beazley, Vol. I p. 401

النيكوبار وخليج ملقـــا ٠

ثم تدور السفن حول شبه جزيرة الملايو حتى خليج سيـام ومنه تمتد الرحلة ما بين ١٠ ـ ٢٠ يوما حتى جزيرة Polo - Condor حيث يمكن الحصول على الماء العذبة وبعد رحلة شهـــر يصـل التجار العرب المسلمون الى ميناء خانفو جنوب الصين ٠واستنادا الى ابن بطوطة فان الرحلة بعد كاليكوت كانت تتـــم بسفـن صينية (٤٤) ٠ أما الطريق البري فيعرف بالطريق الحريـــري العظيم ٠ ويبدأ من البحر المتوسط الى بغداد ثم الى همــدان وقزوين والري ونيسابور ، ومرو وبخارى وسمرقند والصغد حيث يتفرع الطريق الى فرعين يؤديان الى الصين وكان هنالك طريق آخر يمر بهضبة التبت ولكنه كان طريقا وعرا واستعمل لتجـارة المسك فقط (٤٥) ٠

٢ ـ العلاقات التجارية مع الهند وجنوب شرق آسيا :

كانت الهند تجذب نحوها التجار العرب ولذلك كانت هنالك جاليات عربية تستوطن الساحل الهندي قبل الفتح الاسلامي ٠ وفي سنة ٨٩ هـ / ٧١٢ م تم فتح السند من قبل محمد بن القاسم الثقفي ، فانتشر العرب برا وبحرا في جنوب شرق اسيا والمحيط الهندي وكونوا جاليات في جاوة ، كما تزوجوا مـــن نســـاء محليات (٤٦) ٠ وكان الوصول الى الهند سهلا سواء بالبـــر او البحر ٠ وكان الطريق البري يسير مع طريق خراسان حتـــى كابل ثم ينحدر نحو البنجاب (٤٧) ٠

---

(٤٤) الدوري ص ١٦١ ٠

(٤٥) المسعودي ج ١ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩ ٠ الدوري ص ١٥٠ ٠
Beazley, Vol. I p. 401

(٤٦) Spies, Otto, "An Arab account of India in the 14th Century". p. 3

(٤٧) Beazley, Vol. I p. 401

أما الطريق البحري فيسير الى دبيل الى مدخل نهر مهران (السند) ومن مهران الى Bakim اول محطة في (الهند) (٤٨) ٠ وكانت مراكز التجارة الكبرى ديبل (على نهر السند) (٤٩) ، والمنصورة على نهر السند (٥٠) ، وملتان عاصمة السند (٥١) ٠ واستنادا الى المسعودي كان هنالك ١٠،٠٠٠ رجل من بغداد والبصرة وعمان وسيراف يعيشون في صيمور (٥٢) ٠ الى جانب التجارة مع الهند والصين كانت العلاقات التجارية نشطة مع سرنديب (سيرالانكا) وكانت لهم جالية فيها ، ويعتقد ان العرب وصلوا سرنديب قبل الاسلام (٥٣) ٠ وكان للعرب جاليات عربية في المليبار هي Hili (٥٥) وكاليكوت وكاولام Kawlam او Quilont وقد اندثرت كلتا المدينتين في القرن السادس عشر الميلادي (٥٦) ٠ كما تاجر العرب المسلمون مع ملقا وبصورة خاصة مع مستوطنات الساحل الغربي المشهور

---

(٤٨) Spies, pp. 58 - 59

(٤٩) ميناء بحري على بعد ٢٤ ميلا جنوب غرب Tatta الحالية ٠

الدوري ص ١٤٥ ، ابو الفداء : تقويم البلدان ٠ ص ٣٤٩ ٠ القلقشندي ، صبح الاعشى ٠ ج ٥ ص ٦٤ ٠

(٥٠) كانت على بعد (٥) اميال غرب بهمان اباد ٠

(٥١) المسعودي ج ١ ص ٣٧٥ ، ٣٧٨ ٠ الدوري ص ١٤٥ ، ابن بطوطة ص ١٨٤ ، ابن حوقل ص ٣٢٢ ٠ ابن رسته ص ١٣٧ ٠

(٥٢) صيمور تقع بالقرب من بمباي الحالية ٠ المسعودي ج ٢ ص ٨٥ ٠

(٥٣) الدوري ص ١٤٦ Beazley, Vol. I p. 398

(٥٤) في القرن التاسع الميلادي اعتنق حاكمها الاسلام وفتح دولته للتجار المسلمين ٠ Beazley, Vol. I pp. 398 - 399

(٥٥) يمكن ان Hili تمثل Nile Shwar ابن بطوطة ص ٣٣٤ ٠

(٥٦) اندثرت كلا المدينتين بعد ان أنشأ البرتغاليون المحطات التجارية في القرن السادس عشر الميلادي ٠

بمناجم القصدير · وكانت مذبحة خانفو السبب في نقل التجارة الى كالا حيث ملتقى التجارة العربية والصينية ، كما كانت للعرب جاليات في الملايو وشمال سومطرة (الزابج) حيث كانوا يترددون على ميناء Lambri وميناء Barris (٥٧) وكان للعرب جاليات من جزر النيكوبار (٥٨) ، كما تاجروا مع سكان بورنيو (٥٩) · وكانت لتجارتهم أسواق في كوشين صين (٦٠)· ومن الصين اندفع التجار العرب المسلمون شمالا الى اليابان وكوريا التي وصفوها بكثرة الذهب وكانت هنالك جالية اسلامية (٦١) ·

٣ ـ العلاقات التجارية مع وسط اسيا :

امتدت الامبراطورية العربية الاسلامية حتى حدود الصين شرقا · لهذا فقد تم فتح أسواق أسواق اواسط اسيا أمام التجار العرب المسلمين · وكانت التجارة تتبع الطريق الحريري العظيم (طريق خراسان) الذي يمر من البحر المتوسط الى بغداد والى سمرقند ثم يتفرع الى فرعين احدهما يتجه شمالا الى خوارزم والاخر يؤدي الى الصين · وكان لانتشار الاسلام بين اقوام أواسط اسيا اثره على قيام مستوطنات عربية في سمرقند وقندس (في افغانستان) ومناطق اخرى من أواسط اسيا (٦٢) ·

---

(٥٧) Beazley, Vol. I p. 234

ادم متز ج ٢ ص ٢٦٣ ، الدوري ، ص ١٤٦ ـ ١٥٠ ·

(٥٨) الدوري ص ١٥٠ ·

(٥٩) ادم متز ، ج ٢ ص ٦٣

(٦٠) Beazley Vol. I p. 598

(٦١) آدم متز ج ٢ ص ٣٢٧

Beazley Vol. I pp. 35 - 424 Arnold p. 95

(٦٢) ابن خرداذبة ، «المسالك والممالك» ، ص ١٧٨ ·

مسكويه : تجارب الامم ج ٢ ص ٦٤

احمد نفيس : ص ١٣

وهكذا نجد أن اسيا كانت مفتوحة أمام التجار والرحالة المسلمون برا وبحرا فنقل التجار معلوماتهم وكذلك الرحالة والجغرافيون • فلذلك لا نستغرب اذا وجدنا ان الجغرافيين العرب عرفوا الكثير عن اسيا •

فقد وصف الجغرافيون العرب بحر خزر على انه بحر مغلق ، كما تكلموا عن نهر الفولغا الذي كانوا يسمونه نهر (أتل) ووصفوا مجراه ومصبه في بحر خزر ويذكر ابو الفداء في هذا الصدد :

« حكى لي بعض التجار الذين ركبوا هذا البحر انهم لما انتهوا في الشمال الى اخره تغير عليهم الماء المالح الصافي ••• السخ » •

كما تكلموا عن شعوب حوض الفولجا الادنى ومنطقة بحر خزر وخاصة ان بعض تلك الشعوب قد اعتنقت الاسلام ، واقدم تسجيل جغرافي عن منطقة الفولجا الادنى هو ما ورد فيمذكرات ابن فضلان ، فقد تحدث عن بلاد الفولجا وشعبها واصفا بعض المظاهر الطبيعية والتقاليد الاجتماعيه ولعله أول من تكلم عن ظاهرة قصر الليل والنهار في تلك الجهات •

أما معلومات الجغرافيين العرب المسلمين عن اقاليم وسط آسيا وتركستان (بلاد ما وراء النهر) فكانت غزيرة ، خاصة ان بعض الجغرافيين كانوا من تلك المناطق كالبيروني • ولقدشملت الدراسات الجغرافية عن اسيا الوسطى الطبوغرافية والمناخ والاقتصاد والمدن وتخطيطها وتطورها التاريخي الى جانب المعلومات الانثربولوجية •

أما عن شمال اسيا فان البيروني هو أول من سمى نهر انجارا وتحدث عن شعوب اقليم بيكال في سيبريا الشرقية • وكان العرب يطلقون على شمال اسيا اسم «بلاد الظلمة» ولقد تحدث ابن بطوطة عن أهم السلع التي كان السكان يتاجرون بها وشرح طريقتهم في التجارة وهي الطريقة الصامتة •

آما معلومات الجغرافيين العرب عن الصين فهي فنية من جميع النواحي حيث وصل العرب اليها برا كما ابحروا اليها وساروا على امتداد الساحل الصيني شمالا حتى كوريا (شيلا) وأطلقوا على بحر الصين اسم (بحر صنخي) وتوغلوا في داخل الصين وتكلموا عن زراعاتهم وصناعاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وحبهم للفنون وعلى الاخص الرسم .

أما الهند فكان الجغرافيون العرب يعرفونها جيدا ولقد تكلم الادريسي عن طبقات المجتمع في الهند :

١ ـ الساكهرية : وهم الاشراف ورجال الدين .

٢ ـ الكسترية .

٣ ـ الشودرية : الفلاحون وأصحاب الزراعات .

٤ ـ اصحاب المهن والصناعات .

٥ ـ السندالية .

أما البيروني فقد قدم لنا عن الهند دراسةاقليمية ممتازة ، فقد درس الاوضاع الطبيعية لشبه القارة الهندية وتتبع ساحلها الغربي من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب ، وعدد أبرز الموانىء التي تقع عليه ، وذكر أهم الجزر بجنوب الهند ، ووصف كشمير والمجرى المتعرج لنهر السند وتكلم عن جبال همنت (هيملايا) . ثم أشار الى جبل ميرود (ربما قمة افرست) ثم شرح سهل الهند الفسيح الواقع الى الجنوب من جبالهملايا، وفسر كونه عبارة عن مخلفات بحرية قديمة ، ويعتقد بأن وادي السند كان يوما ما قاعا للبحر ثم غطته الرواسب الفيضية بالتدريج (سهل فيضي) . ثم تكلم عن منابع انهار الهند ومناخها بفصوله الاربعة والامطار الموسمية .

كما تكلم عن مدن الهند والمسافات بينها بكل دقة . كما تكلم عن الانتاج الاقتصادي للهند من زراعة وصناعة .

وتكونت لدى الجغرافيين العرب معلومات قيمة عن جزر المحيط الهندي لا سيما جزيرة سرنديب · فقد ذكر ابو زيد السيرافي عنها :« يدعونها الديبجات وبجانب منها مغاص اللؤلؤ »·

ولقد وصف البيروني هذه الجزيرة بدقة · وتكتسب معلومات ابن بطوطة عن جزر المديف بالذات أهمية خاصة لانه اقام في تلك الجزر اكثر من عام ونصف وخبر الحياة فيها عن قريب ·

أما عن البلاد العربية وتركيا وايران فقد حظيت بدراسات مفصلة ودقيقة ·

العلاقات التجارية مع افريقيا :

كانت التجارة مع افريقيا نشطة برا وبحرا · وكانت القوافل تعبر شبه جزيرة سيناء الى مصر ومنها الى شمال افريقيا او عن طريق النيل الى السودان او عبر الصحراء الكبرى الى غرب افريقيا (٦٣) · وكان الخط البحري صالحا للملاحة طول العام ولكن توجد فيه قراصنة وعلى الاخص في جزيرة سقوطرة عش القراصنة الهنود (٦٤) ·

ولقد مرت التجارة مع القارة الافريقية بعدة مراحل :

١ ـ بعد فتح مصر وشمال افريقيا اندفع التجار العرب الى جنوب الصحراء واقاموا علاقات جيدة مع السودان ولقد وصلوا حتى السنغال والنيجر كما توغلوا في حوض النيل الاعلى ·

٢ ـ يبدأ مع فتح المسلمين لجزيرة كمبالو Kambalu (٦٥)

---

(٦٣) الفيل ،نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٠٢ ·

(٦٤) الدوري ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ · Beazley, Vol. I p. 400

(٦٥) احمد نفيس ، ص ١٣ ·

في نهاية الحكم الاموي (٦٦) ٠

ولقد أقيمت مستوطنات عربية اسلامية في مالندي وممباسا وموزمبيق ، والتي ربما أدت الى الاستيلاء على الجزر الواقعة قريبا من الساحل (٦٧) ، حيث قام بعض المغامرين العرب في القرن العاشر بالاستيلاء على زنجبار والجزر الاخرى عند ساحل افريقيا الشرقي ٠ ولقد تاجر العرب مع سكان الساحل الشرقي حتى سفالة جنوبا (موزمبيق) ، وكما يقول احمد نفيس حتى ساحل الناتال الحديثة (٦٨) ٠

كما توغل التجار العرب في اقليم البحبة الى الشرق من Awan والى العلاقي (الاقليم الرئيسي لمناجم الذهب منذ زمن الفراعنة) ٠ وفي غرب افريقيا كانت التجارة نشطة في غانا حيث كانت قوافل الجمال تقطع الصحراء اليها ولكن كانت هنالك بعض الاخطار تحيط بهذه القوافل وبصورة خاصةالعواصف الرملية (٦٩) ٠ وكان سكان غانا يحترمون العرب ويحبونهم كثيرا وكانوا مولعين بالتمر ٠ وكانت هنالك علاقات تجارية نشطة مع برابرة شمال افريقيا وكانت هنالك مستوطنات عربية في سجلماسة ، وأخرى على الساحل الشرقي الافريقي في مقديشو وساحل الصومال (٧٠) ٠ وكنتيجة لهذه العلاقات التجارية النشطة مع افريقيا وارتياد التجار العرب لمناطقها

---

(٦٦) يعتقد ان كمبالو اما مدغشقر أو زنجبار او بمبا ٠

(٦٧) تم فتح جزيرة كمبالو من قبل الامويين الفارين من الحكم العباسي ٠

(٦٨) نفس المصدر - ص ١٤ ٠
سافر المسعودي الى زنجبار ولاحظ بأن الحكام كانوا مسلمين ، نفس المصدر ، ج ٤ ص ٣١ ٠

(٦٩) الفيل ج ٤ ص ١٠٤ ٠ Beazley, Vol. II . 260
Arnold, p 101

(٧٠) Beazley, Vol. III p. 147.

المختلفة اصبحت لدى الجغرافيين العرب معلومات غزيرة ودقيقة عن افريقيا . فقد كانت معلومات الادريسي عن جهات افريقيا الداخلية لا سيما غينيا والنيجر والسنغال ذات أهمية بالغة ، فقد تحدث عن انهارها وأهم مدنها وزراعتها وعاداتها ، كما تحدث عن اقليم السودان الشرقي واقليم منابع النيل ، ودفع الادريسي المنطقة المسكونـــــة الى جنوب خط الاستـــــواء (٧١). كما عرض معلومات عن النيجر في الجزء الواقع اعلى تمبكتو ، وعن اقليم منابع النيل ومناطق كبيرة من السودان بدقة لا تنازع فيها . ولقد توصل البيروني الى معلومات قيمة عن افريقيـــا الجنوبية وموزمبيق (سفالة الزنج) عن طريق التجار المسلمين .

وبناء على هذه المعلومات كان في وسعه ان يلاحظ انه في خلال الصيف عندنا يسود الشتاء هناك . وبسط وجهة نظره باتصال البحر الجنوبي (المحيط الهندي) بالمحيط الاطلسي اي ان المياه تحيطها من الجنوب (٧٢) . ولقد أورد المهلبي معلومات هامة عن السودان الشرقي . ولقد تضمنت رحلة ابن بطوطـــة معلومات اقتصادية وبشرية عظيمة الاهمية عن افريقيا الغربية. ولقد شملت معلوماتهم ساحل افريقيا الشرقي الى خط عرض ١٠ جنوبا فشملت ساحل موزمبيق الذي أطلقوا عليه اسم سفالةالزنج وانتشرت مناطق استيطانهم في ممباسا وزنجبار وكلـــوا وملندة بل حتى جزيرة مدغشقر (قمر او قمار) .

العلاقات التجارية مع قارة اوروبا :

ان العلاقات بصورة عامة بين العرب المسلمين والاوروبيين أو بين العالم الاسلامي والعالم الاوروبي مرت بعدة مراحل :

---

(٧١) كان الاعتقاد السائد عند اليونان والرومان حتى عند بعض الجغرافيين العرب ان منطقة خط الاستواء غير مسكونة نظرا لشدة الحرارة فيها وتعامد الشمس عليها مرتين على الرغم من ان العرب تاجروا مع سكانها من الزنوج ،

(٧٢) نفيس احمد ص ٣٤ - ٣٥ .

أ ـ بدأت بفتح العرب لاسبانيا وجنوب فرنسا وجزء من ايطاليا وجميع جزر البحر المتوسط ، وقد تم فتح باري فيايطاليا سنة ٨٤٨ م ، وكان انقسام المسلمين على انفسهم هو الذي حال دون اكمال فتح ايطاليا • وفي عام ٨٧٠ م غدت نابولي محطة للتجارة الاسلامية وكذلك بالرمو • وفي سنة ٩٢٥ م استولى بعض المغامرين المسلمين على جنوا (٧٣) •

ب ـ تبادل السفارات : وأشهر سفارة كانت تلك التي بين هارون الرشيد وشارلمان وكذلك سفارة ابن فضلان (٧٤) • وكان لحرية التجارة التي تحققت من هذه السفارات أثرها على أن يصبح الفرنجة وسطاء تجاريين بين عرب أوروبا والعالم الاسلامي •

ج ـ انتشار الاسلام السلمي واقامة مستوطنات اسلامية عربية لتشجيع التجارة •

د ـ الحروب الصليبية وانتقال الاوروبيين الى قلب العالم الاسلامي •

وكان الوصول الى أوروبا يتم برا وبحرا وذلك :

١ ـ من استراباد على بحر خزر وجيورجيا الى أراضي الخزر وهم أهم وسطاء تجاريين بين العرب ووسط وغرب أوروبا •

---

(٧٣) Beazley, Vol. I p. 168, 204 Vol. II p. 418

الجزر التي فتحها العرب : قبرص ـ رودس ـ كريت ـ صقلية ـ سردينية ـ كورسيكا ـ ميورقا ـ ماجورقا ـ مالطة • الفيل • ج ٢ ص ١١٢ حاشية •

(٧٤) في سنة ٩٢١م ارسل الخليفة المقتدر بالله سفارة الى البلغار في الفلجا من الذين دخلوا الاسلام حديثا • ولقد كتب ابن فضلان هذه الرحلة حيث ذكر ما وجد في أراضي الاتراك والخزر والروس والصقالبة والاقوام الاخرى • ابن رستة ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ •

Beazley, Vol. I p. 435

Blakeand Frye, Notes on the Risala of Ibn Fadlan. p. 9

أو من Traxonia الى Khiva على نهر Oxus الى نهر الفولجا (٧٥) ٠

٢ ـ من البحر المتوسط الى مدن ايطاليا وعن طريق الاديج الى اليو كانت البضائع تصل الى قلب ايطاليا وعن طريق مضيق برنر Brenner والمضائق الاخرى يتم الوصول الى المانيا ووسط أوروبا ٠

٣ ـ عن طريق اسبانيا الى جنوب فرنسا او وسطها وغربها ٠

٤ ـ الى بريطانيا وايرلندة عن طريق البحر ٠

وكان التجار العرب يقصدون باستمرار شرق اوروبا وكانت لهم تجارة نشطة مع البلغار والروس ٠ ولقد تم العثور على نقود عباسية من عهود متأخرة (ذهبية وفضية) في مناطق كثيرة ، حيث وجدت بالقرب من بحيرة لادوجا وبالقرب من موسكو وفي منطقة حوض الفولجا الاوسط في ياروسلاف Jaroslave وفالديمير وفي استونيا (٧٦) ٠

وعمليا وجدت نقود في كل دول البلطيق من مخرج الاودر حتى خليج فنلندة والسويد والنرويج وايسلندةوبريطانية (٧٧) ٠ ولقد تم الكشف عن اكثر من ١٣٫٠٠٠ قطعة نقود (فضيةوذهبية) في حدود روسيا الحديثة وبصورة خاصة في الحوض الاعلى والاوسط لنهر الفولجا وتعود هذه النقود الى الفترة بين القرن

---

(٧٥) Arnold p. 100, Beazley Vol. I p. 402

(٧٦) الفيل ج ٢ ص ١١٥ ٠

(٧٧) Kirk "A short History of the Middle East From the rise of Islam to modern times", p. 26

Beazley, Vol. II p. 462, Vol. I pp. 200-201 Arnold, pp. 100-101

الدوري ص ١٥٣ ، حتي ، فيليب ص ٣ ـ ٤ ٠

السابع الى بداية القرن السادس عشر (٧٨) ٠ ومن غير شك ان رحلة ابن فضلان الى بلاد الصقالبة ووصفه الجالية الاسلامية في Atil والقبائل المختلفة في وسط وغرب اسيا وشرق اوروبا اثرت على وضع معلومات قيمة تحت تصرف الجغرافيين كما فتحت الطريق أمام الرحالة العرب للسفر الى تلك المناطق (٧٩) ٠

ولقد وصل التجار والرحالة العرب الى اسكندناوه فقد ذكر البيروني اقطار الدول الاسكندنافية واعطى معلومات عن البحر الجليدي الى الشمال الشرقي من أوروبا (٨٠) ٠ كما قدم ابراهيم الطرطوشي والقزويني وصفا لشمال وسط اوروبا وغربها (٨١)٠ كما استعمل ألفن Finns اسماء عربية مثل سالم ، عمر ، سلمى ، ليلى ٠٠٠ الخ (٨٢) ٠ ووصف ابن بطوطة وصفا دقيقا الزلاقات وطرق التعامل مع أهالي أراضي الظلام ٠ ولقد حاول ان يزور تلك المناطق (٨٣) ٠ كل هذه الشواهد تؤكد ان العرب قاموا برحلات تجارية الى الدول الاسكندنافية ٠

وكان الاسكندنافيون يصلون الى البحر الاسود عن طريقين :

١ ـ الطريق الاول يسير مع النهاية الشمالية لشبه جزيرة اسكندناوه الى البحر الابيض (White Sea) ٠

---

(٧٨) الدوري ص ١٥٣ ، Kirk p. 28, Beazley, Vol. II p. 462,

(٧٩) Arnold p. 100

(٨٠) نفيس احمد ٠ ص ١١ ٠ Blake pp. q, 19

(٨١) Lewis, Bernard, the Moslem Discovery of Europe, p. 40

(٨٢) الفيل ج ٢ ص ١١٧ ٠

(٨٣) نفس المصدر : ص ١٥٠ ٠

٢ ـ الطريق الثاني يقطع بحر البلطيق الى مدخل الدون ثم الى الدنيبر والى القسطنطينية · ومنذ القرن العاشر جابوا عباب الازوف وعبر الدون الفولجا الى بحر قزوين ·

ولقد مرت العلاقات التجارية مع اوروبا بمرحلتين :

١ ـ من القرن السابع الميلادي الى القرن العاشر الميلادي عمل العرب كوسطاء بين الشرق الاقصى والهند من ناحية وأوروبا من ناحية ثانية حيث كان العرب يحملون البضائع من الصين والهند والشرق الاوسط الى اسواق الاوروبا ويحملون من أوروبا منتجاتها الى الشرق الاوسط والهند والصين ·

٢ ـ المرحلة الثانية بدأت مع الحروب الصليبية عندما بدأ الاوروبيون يفتشون عن اسواق تجارية ولقد اقام العرب علاقات تجارية طيبة مع مختلف الاقطار الاوروبية ·

١ ـ التجارة مع روسيا وبلاد القفجاق Al-Kapchak

ان النقود الفضية والذهبية الكثيرة التي تم العثور عليها في روسيا تحمل بين طياتها الدليل القاطع على عمق العلاقات التجارية بين العرب وروسيا · ولقد تكلم ابن خرداذبة عن التجار الروس الذين اعتبرهم سلاف والذين كانوا يسيرون مع الدون والفولجا الى بحر قزوين ثم يحملون جمالهم ويأخذونها من جنوب بحر قزوين الى بغداد · وكانت تجارتهم تتكون من فراء الثعالب السود والسيوف ··· الخ (٨٤) ·

أما الخزر في جنوب روسيا الذين يعيشون بين القفقاس والفولجا فكانوا وسطاء تجاريين نشطين وكان خط تجارتهم نهر الفولجا (٨٥) · وعندما زار ابن بطوطة مدينة سارا (Sara)

---

(٨٤) الفيل · ج ٢ ص ١٥٤ ·

(٨٥) الفيل ج ٢ ص ١٢٣ ·

كان هنالك تجار من العراق وسوريا ومصر ومناطق اخرى يعيشون في أحياء معينة من المدينة (٨٦) ٠

٢ ـ العلاقات التجارية مع البلغار :

كانت العلاقات التجارية مع البلغار قوية ونشطة واعتاد المسلمون الذهاب الى Bulgar ولقد استمرت التجارة نشطة ، ففي سنة ١٣٣٧ ذكر ان شمس الدين الكربلائي ذهب الى البلغار واشترى العبيد من عوائلهم (٨٧) ٠

العلاقات التجارية مع دول البحر المتوسط الاوروبية :

كانت العلاقات التجارية مع دول البحر المتوسط الاوروبية نشطة وكان العرب يعرفون البحر المتوسط جيدا وقد حرروا جميع جزره ٠

ولقد أخذت التجارة مرحلتين :

١ ـ عندما فتح المسلمون العرب اسبانيا وجزءا من ايطاليا وجزر البحر المتوسط ٠

٢ ـ تبادل السفارات التي ساعدت على انتشار التجارة ولقد وجدت مستوطنات عربية اسلامية منتشرة على سواحل البحر المتوسط ٠

أ ـ العلاقات التجارية مع بريطانية :

ترجع العلاقات التجارية مع أوروبا الى القرن السابع الميلادي وربما قبل ذلك ولقد امتدت هذه التجارة حتى بريطانية ٠ وكانت

---

(٨٦) تقع بالقرب من مدينة تساريف (Tsarev) الحالية ٢٢٥ ميلا فوق استرخان ٠ ابن بطوطة ٠ ص ٣٥٨ ٠

(٨٧) الفيل ٠ ج ٢ ص ١٢٥ ٠

هنالك اتصالات رسمية ووفود وسفارات متبادلة (٨٨) ٠

كان من نتيجة التجارة والرحلة ان اصبح لدى الجغرافيين العرب والمسلمين صورة واضحة عن أوروبا ٠ فقد اشار البيروني والمسعودي الى شمال أوروبا على أن تلك المناطق يسودها البرد الشديد بحيث تتعذر الزراعة فيها ، وأما سكانها البحريين فيقتاتون على السمك ٠ ولقد حدد البيروني بصورة صحيحة موقع المحيط الشمالي الذي يلتف حول شبه جزيرة اسكندناوه كما أطلق على سكانها اسم الورنك وأشار الى براعتهم في صناعة السيوف الحديدية ٠ وقد سمع البيروني بقصة ذلك الملاح الذي ضرب في الاصقاع الشمالية فبلغ بقعة لا تغرب عنها الشمس صيفا ويورد لنا تفاصيل فريدة عن صناعة السيوف لدى الفرنجة والروس ٠ وأمدنا البيروني بمعلومات دقيقة ذات قيمة علمية عن بحر الثلج Ice – Sea في الشمال الشرقي من أوروبا فكان ذلك تمهيدا لارتياد التجار العرب لتلك الاصقاع البعيدة ٠

أما الادريسي فقد مد الارض المعمورة في شمال أوروبا حتى فنلنده وشمال روسيا وبلاد اللاب ووضعها في الاقليم السابع الذي يمتد عمليا لغاية درجة ٧٢ شمالا ٠ كما تكلم الادريسي عن صقلية واسبانيا وايطاليا ، وأعطانا معلومات قيمة ، لانها تعتمد على الملاحظة الشخصية للمؤلف ، كما يدل وصفه لاوروبا الغربية : فرنسا والمانيا واسكتلندة ، وايرلندة وسواحل بحر الشمال على المقدرة والمهارة ، كما قدم لنا معلومات عن بولندة وروسيا ، ولكن بدقة اقل ولو ان ما قدمه عنهما لا يخلو من معلومات هامة ٠ ونقد ظفرت رومانيا وسائر دول البلقان بتفصيل كبير ربما مرده الى الحروب الصليبية

---

(٨٨) Howorth, History of the Mongols from the 9th Century A. D. to the 19th Century, Vol. III. p. 253.

في عام ١٢٧٤ استلم اباقا خان (الالخاني في العراق) رسالة من الملك أدوارد البريطاني ٠

ونمو العلاقات التجارية بين الغرب الفرنجي والشرق العربي الاسلامي ٠

ولقد أشار الجغرافيون المسلمون الى ان النهار يطول في جهات شمال القارة حتى يتجاوز (٢١) ساعة بينما تنعكس الاية في فصل الشتاء ٠ وتكلم القزويني في كتابه (اثار البلاد وأخبار العباد) عن بلاد (ويسو) حيث قال انها وراء بلاد البلغار بينهما مسيرة ٣ أشهر ذكروا ان النهار يطول عندهم حتى لا يروا شيئا من الظلمة ثم يطول الليل حتى لا يروا شيئا من الضوء وأهل بلغار يحملون اليها بضائعهم للتجارة ٠ وقالوا عن بلاد (يورا) :

« انها بلاد بالقرب من بحر الظلمات وان النهار طويل جدا في الصيف حتى ان الشمس لا تغيب عنهم مقدار أربعين يوما وفي الشتاء ليلهم طويل جدا حتى تغيب الشمس عنهم مقدار ٤٠ يوما » ٠

ولقد توغل العرب شمالا حتى قرب المنطقة القطبية الشمالية وتبادلوا البضائع مع سكان هذه المناطق الجليدية ٠

وهكذا ساهمت التجارة والتجار والرحالة في اغناء معلومات الجغرافيين مساهمة كبيرة ولعبت دورا هاما في تطوير المعرفة الجغرافية ، بل ان البعض من الجغرافيين كان يمارس التجارة فضلا عن هوايته العلمية ، ولقد افادت التجارة من الجغرافية كثيرا اذ بدأت الجغرافية تدرس المسالك والطرق والمسافات والبرود لفائدتها للتجار والرحالين ، كما قدمت معلومات قيمة عن المدن المختلفة والمسافات بينها والموانى والبحار والمخاطر التي تكتنفها ٠ كذلك قدمت الجغرافية معلومات قيمة عن الانتاج الزراعي والصناعي للاقطار المختلفة والخامات الاولية المتوفرة فيها ليفيد منها التجار ٠ كما فتحت التجارة افاقا جديدة وواسعة أمام الجغرافي الذي طرق مواضيع ومناطق لم يسبق ان طرقها غيره من الجغرافيين السابقين من الامم الاخرى ٠

ولقد تكلم الجغرافيون عن العادات والتقاليد والحرف والاديان والطبقات الاجتماعية والمأكل والملبس ، كما درسوا علاقة البيئة الطبيعية بالانسان ٠ فقد تكلم ابن خلدون في مقدمته على اثر الحرارة على اخلاق البشر وبين ارتباط بنائهم الفسيولوجي بالاقاليم المناخية وأثر الخصب والجوع على سلوك الانسان ٠ كما تكلموا عن جغرافية المدن والخطط وحفلت أبحاثهم بالمعلومات الطبوغرافية والاقتصادية والبشرية ٠ وقد أورد ابن خلدون في مقدمته دراسة فذة عن نشأة المدن وتطورها ٠ كما تناول الجغرافيون العرب النواحي المناخية والهيدرولوجية والجيمورفولوجية كما قدموا دراسات قيمة عن توزيع البحار والبحيرات والانهار والنهيرات ٠٠ الخ ويمكن القول ان العرب طرقوا جميع الفروع الجغرافية فبعضها مسوه مسا خفيفا والبعض الاخر قدموا فيه معلومات دقيقة وذات فائدة عظيمة ٠

المصادر العربيــــة

١ - **ابن بطوطة** : «رحلات في اسيا وافريقيا ١٣٢٥ - ١٣٥٢» (ترجمة) ٠

٢ - **ابن جبير** : «رحلة ابن جبير» - القاهرة ١٩٠٨ ٠

٣ - **ابن حوقل** : «صورة الارض» ١٩٣٨ ٠

٤ - **ابن خرداذبة** : «كتاب المسالك والممالك» - لندن ١٣٠٦ هـ٠

٥ - **ابن رستة** : «كتاب الاعلاق النفيسة» - ليدن ١٨٩١ م٠

٦ - **ابن سعيد المغربي** : «كتاب عجائب الاقاليم السبعة» - «جغرافية سعيد المغربي» ٠

٧ - **ابن الفوطي** : «حوادث الجامعة» - بغداد ١٣٥١ هـ٠

٨ - **ابو الفداء** : «تقويم البلدان» - باريس ١٨٤٠ ٠

٩ - **احمد نفيس** : «جهود المسلمين في الجغرافية» - القاهرة ، ترجمة : فتحي عثمان ، راجعه : علي أدهم ٠

١٠ - **ادم متز** : «نهضة الاسلام» - القاهرة ١٩٤١ ، ترجمة ابو رضا ٠

١١ - **الادريسي** : «كتاب نزهة المشتاق» - باريس ١٨٤٠ ٠

١٢ - **البكري ، الاندلسي ابو عبدالله** : «كتاب معجم ما استعجم» - القاهرة ١٩٤٥ ٠

١٣ - **البلاذري** : «كتاب فتوح البلدان» ٠

١٤ - **الاصطخري** : «كتاب الاقاليم» ١٨٦٦ ، «كتاب المسالك والممالك» - القاهرة ١٩٦١ ٠

١٥ - التوانسي ، **أبو الفتوح محمد** : «ياقوت الحموي» - القاهرة ١٩٧١ ٠

١٦ - **الحموي ، ياقوت** : معجم البلدان : ليبزج ١٨٦٦

١٧ - **الدوري ، دكتور عبد العزيز** : «تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري» - بغداد ١٩٤٧ ٠

١٨ - **العزاوي ، المحامي عباس** : «تاريخ العراق بين احتلالين» بغداد ١٩٣٦ - ١٩٤١ ٠

١٩ ـ العقاد ، عباس محمود : «أثر الحضارة الاوروبية» ـ القاهرة ٠
٢٠ ـ الصبحي ، محمد ابراهيم : «العلوم» عند العـــرب» ـ القاهرة ٠
٢١ ـ الفيل ، دكتور محمد رشيد : «العلاقات التجارية بيـــن العراق والصين في القرون الوسطى» ـ بغداد ١٩٦٤ ٠
٢٢ ـ القزويني : «كتاب اثار البلاد وأخبار العباد» ـ جوتنجن ١٩٤٨ ، «كتاب عجائب المخلوقات» ـ جوتنجن ١٩٤٩ ٠
٢٣ ـ انقلقشندي : «صبح الاعشى» ـ القاهرة ١٩١٣ ٠
٢٤ ـ المسعودي : «مروج الذهب» باريس ـ «التنبيه والاشراف ـ ليدن ١٨٩٣ ٠
٢٥ ـ المقدسي : «كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» ـ ليدن ١٨٧٧ ٠
٢٦ ـ النويري : «نهاية الارب في فنون الادب» ـ القاهرة ١٩٢٣ ٠
٢٧ ـ الهرزي ، بزرك بن شهريار : «كتاب الهند برها وممرها وجزائرها» ـ ليدن ١٨٨٣ ـ ١٨٨٦ ٠
٢٨ ـ اليعقوبي : «كتاب البلدان» ـ لندن ١٨٩١ ٠
٢٩ ـ بارتولد ، ف : «تاريخ الحضارة الاسلامية» ـ القاهرة ـ ترجمة حمزة طاهر ٠
٣٠ ـ جرجي زيدان : «تاريخ التمدن الاسلامي» ـ القاهرة١٩٠٢ ٠
٣١ ـ حوراني ،جورج فضلو : «العرب والملاحة في المحيــــط الهندي» ـ القاهرة ـ ترجمة : الدكتور السيد يعقوب بكر ٠
٣٢ ـ خصباك ، الدكتور شاكر : «في الجغرافية العربية» ـ بغـــداد ١٩٧٥ ٠
٣٣ ـ ديلاسي أوليري : «الفكر العربي ومكانه في التاريخ» ـ القاهرة ١٩٦١ ـ ترجمة : دكتور تمام حسان ـ مراجعة : دكتـــور محمد مصطفى حلمي ٠
٣٤ ـ عبد العليم ، دكتور أنور : «ابن ماجـــد المـــلاح»ـ الاسكندرية ١٨٦٦ ٠

٣٥ ـ عواد ، ميخائيل : «الماصر في بلاد الروم والاسلام» ـ بغداد ١٩٤٨ ٠
٣٦ ـ فيليب حتي : «تاريخ العرب» ـ بيروت ١٩٥٣ ٠
٣٧ ـ كراتشكوفسكي : «تاريخ الادب الجغرافي العربـي» ـ القاهرة ١٩٦١ ـ ترجمة : صلاح الدين هاشم ٠
٣٨ ـ محمد حسن ، صبري : «الجغرافيون العرب» ، الجزءالاول ـ النجف ـ العراق ١٩٥٩ ٠
٣٩ ـ مسكويه : «تجارب الامم» ـ اوكسفورد ١٩٢٠ ٠
٤٠ ـ مظهر جلال : «ماثر العرب على الحضارة الاوروبية» ـ القاهرة ١٩٦٠ ٠
٤١ ـ ناصر خسروعلي : «سفرنامه» ـ القاهرة ١٩٤٥ ـ ترجمة : الدكتور يحيى الخشاب٠

المصادر الافرنجية

1 - **Al-Feel, Dr M. R.** : The Historical Geography of Iraq between the Mongolian and Ottoman Conquests 1258 - 1534. Vol. II Baghdad 1967.

2 - **Arnold Sir Thomas** : The Legacy of Islam : Oxford 1931.

3 - **Beazley, C. Raymond** : The Dawn of Modern Geography : 5 Vols : London 1897.

4 - **Broomhall, Marshal** : Islam in china : London MCMZ

5 - **Chesney, Lt. Col.** : The expedition for the Survey of the rivers Euphrates and Tigris 2 Vols. London 1938.

6 - **Spies, Otte** : Arab account of India in the 14th Century : Stuttgart 1936.

صدر من هذه النشرة

١ ـ **زراعة الواحة فى وسط وشرق شبه الجزيرة العربية**

ترجمة الدكتور زين الدين عبد المقصود

٢ ـ **اسس البحث الجمرفلوجي مع الاهتمام بالوسائل العلمية المناسبة للبيئة العربية**

بقلم : الدكتور طه محمد جاد
الدكتور عبد الله الغنيم

٣ ـ **توطين البدو في المملكة العربية السعودية (الهجر)**

ترجمة : الدكتور عبد الاله ابو عياش

٤ ـ **اثر التصحر كما تظهره الخرائط**

ترجمة : الدكتور علي علي البنا

٥ ـ **سكان ايران ، دراسة فى التغير الديموجرافي**

ترجمة : الدكتور محمد عبد الرحمن الشرنوبي

٦ ـ **القبائل والسياسة في شرقي شبه الجزيرة العربية**

ترجمة : حسين علي اللبودي

٧ ـ **سكان دولة الامارات العربية المتحدة**

بقلم : الدكتورة امل يوسف العذبي الصباح

٨ ـ **السياسات السكانية في افريقية**

ترجمة : ا . د . محمد عبد الغني سعودي